ذات القناع

حكاية: أماني العشماوي   رسوم: لمياء عبد الصاحب



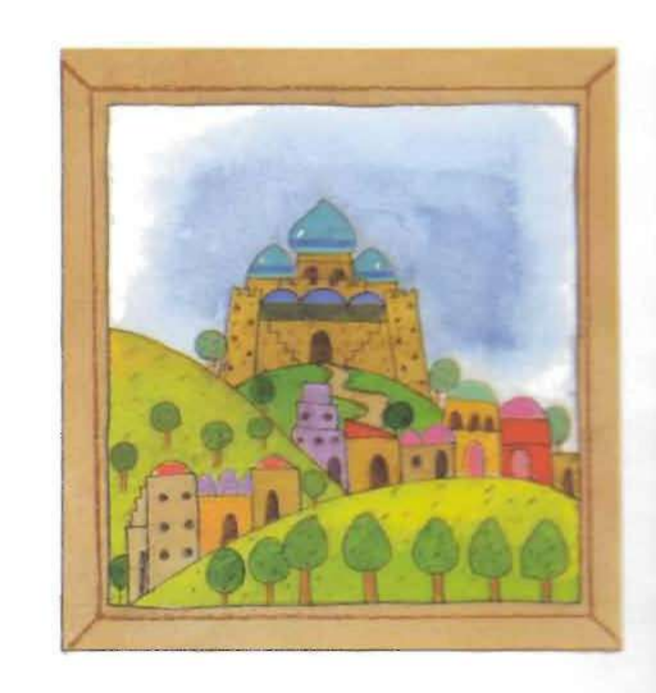
الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

ذات القناع



حكاية: أماني العشماوي · رسوم: لمياء عبد الصاحب

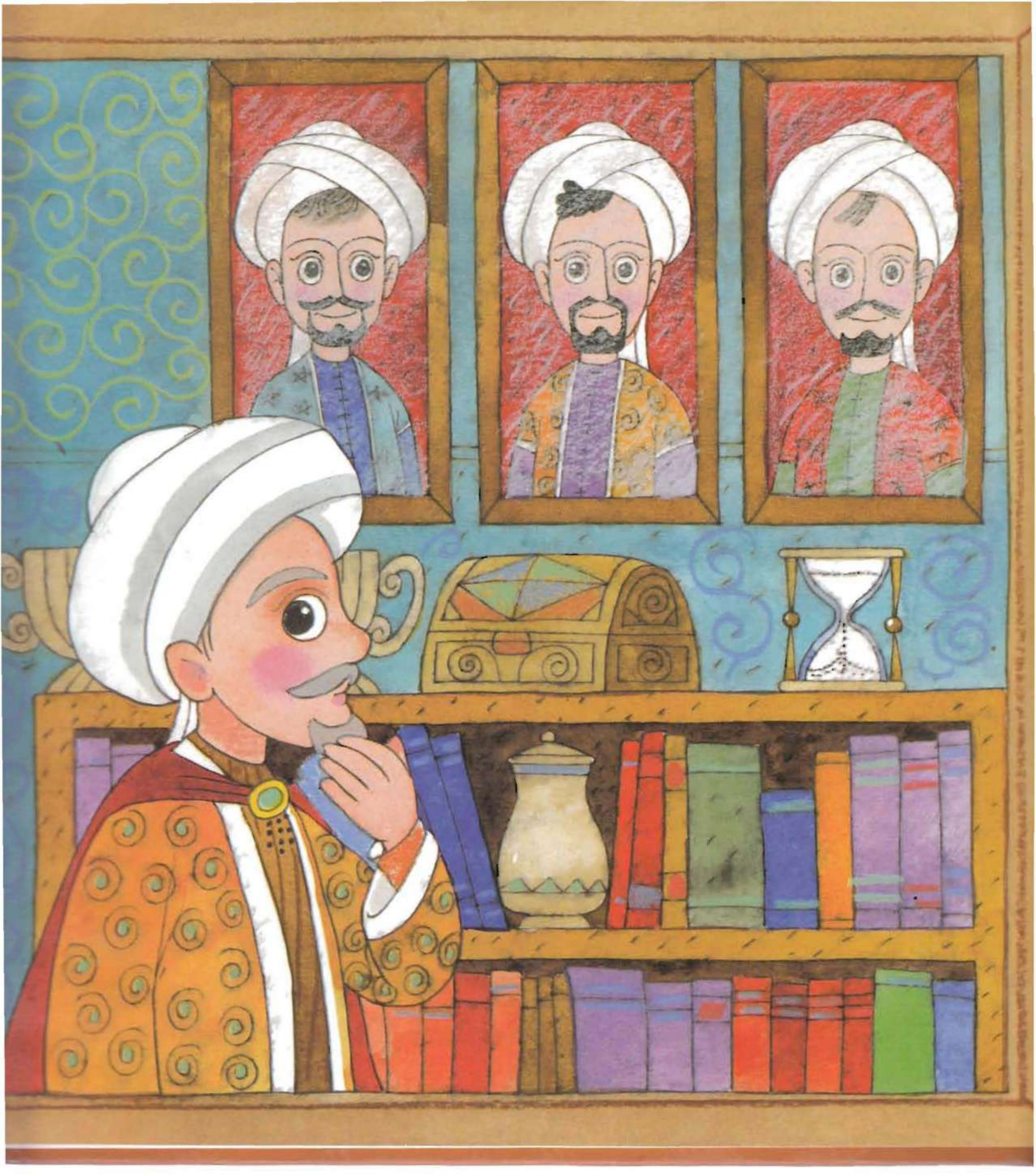




كانَ ياما كانَ.. في قَديمِ الزَّمانِ.. في مَكانٍ ما عَلى هَذِهِ الأَرْضِ.. كانَتْ هُناكَ مَمْلَكَةٌ صَغيرَةٌ، يَحْكُمُها مَلِكٌ عادِلٌ حَكيمٌ، اسْمُهُ عَبْدُ المَجيدِ، لَهُ ثَلاثَةُ أَبْناءٍ.. وَليدٌ، ورَشيدٌ، وحَميدٌ.

حَكَمَ المَلِكُ عَبْدُ المَجيدِ بِلادَهُ سِنينَ طَويلَةً، حَتى كَبُرَتْ سِنُّهُ وضَعُفَتْ صِحَّتُهُ. فَأَرادَ أَنْ يَتْرُكَ الحُكْمَ لأَحَدِ أَبْنائِهِ، لِيَسْتَريحَ مِنْ أَعْبائِهِ في السَّنَواتِ الباقِيَةِ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ.

أَخَذَ المَلِكُ يُقارِنُ بَيْنَ أَبْنائِهِ لِيُقَرِّرَ مَنْ مِنْهُمْ يَصْلُحُ لِلْحُكْمِ أَكْثَرَ مِنْ أَخَوَيْهِ.. فَاحْتارَ أَيُّهُم يَخْتارُ.. فَالثَّلاثَةُ يَتَمَيَّزونَ بِالشَّجاعَةِ والإِقْدامِ، وبِالعَدْلِ والشَّهامَةِ، وبِالعِلْمِ والحِكْمَةِ.

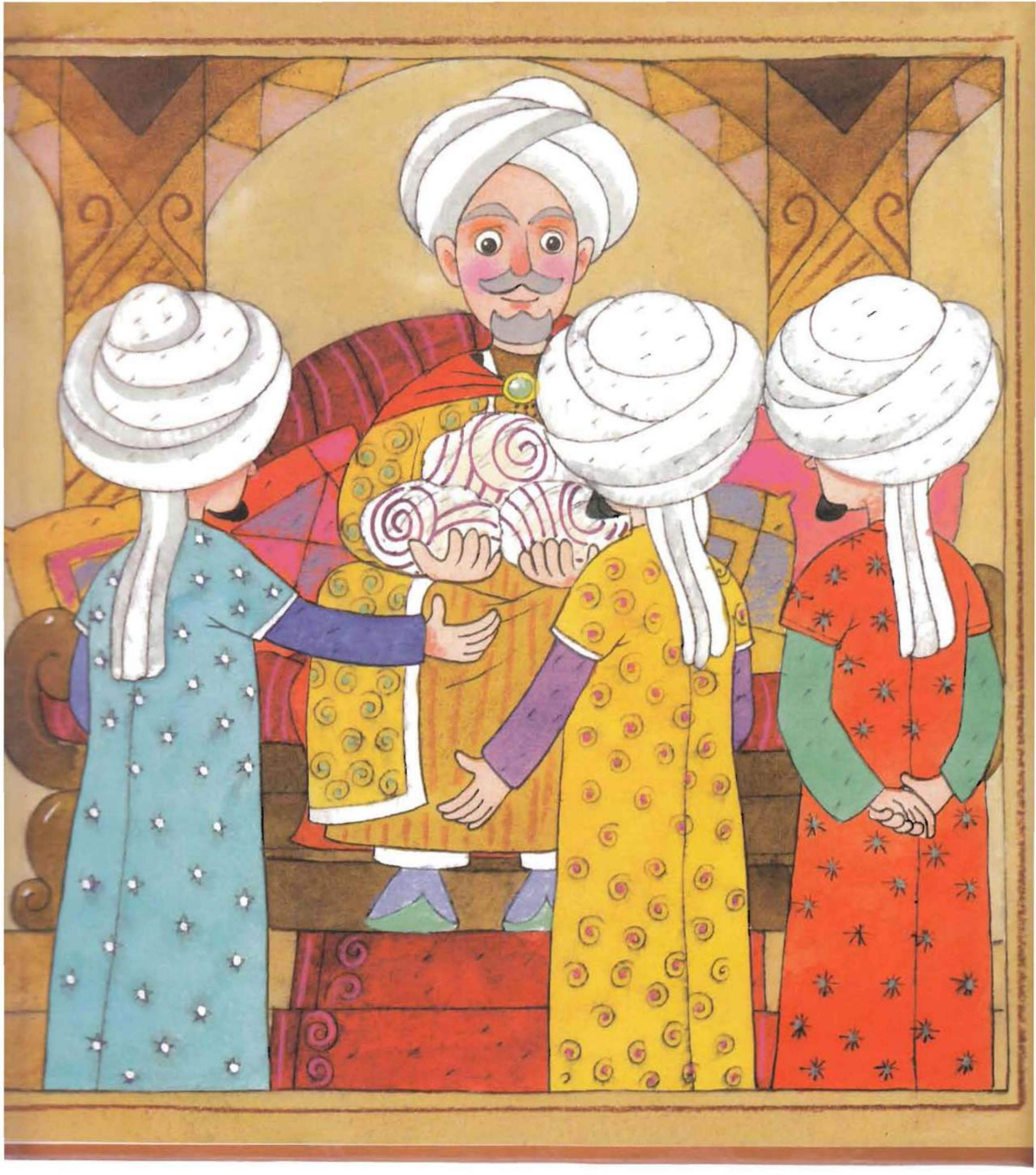




تَذَكَّرَ المَلِكُ زَوْجَتَهُ الحَبيبَةَ التي تُوُفِيَتْ مُنْذُ سَنَتَيْنِ، وتَمَنَّى لَوْ كانَتْ مَعَهُ في ذَلِكَ الوَقْتِ لِتُساعِدَهُ في الاخْتِيارِ.. فَقَدَ كانَتْ تُعينُهُ دائماً في تَخَطّي الصِّعابَ، وتُشارِكُهُ في التَّفْكيرِ واتِّخاذِ القَرارات.

فَكَّرَ المَلِكُ وفَكَّرَ.. وأَخيراً قالَ لِنَفْسِهِ: «إنَّ اخْتِيارَ المَلِكَةَ المُناسِبَةَ لا يَقِلُّ أَهَمِيَّةً عَنْ اخْتِيارِ المَلِكِ الصّالِحِ.. وَلَوْلا وُجودُ زَوْجَتي إلى جانِبي، لَما استَطَعْتُ أنْ أَحْكُمَ المَمْلَكَةَ حُكْماً عادِلاً، أَوْ أُرَبِّيَ أَبْنائي تَرْبِيَةً صالِحَةً.. لِذلِكَ سَأَخْتارُ مِنْ أَبْنائي مَنْ تَكونُ لَهُ زَوْجَةٌ صَبورَةٌ وحَكيمَةٌ.. حازِمَةٌ لَكِنَّها رَحيمَةٌ، ومُدَبِّرَةٌ لَكِنَّها كَريمَةٌ».

في اليَوْمِ التّالي، اسْتَدْعى المَلِكُ أَبْناءَهُ، وَأَعْطَى كُلاًّ مِنْهُم كُتْلَةً مِنَ الصّوفِ وَقالَ لَهُمْ: «لِيُعْطِ كُلٌّ مِنْكُم هَذا الصّوفَ لِلْفَتاةِ التي يَوَدُّ أنْ يَتَزَوَّجَها، وَيَطْلُبْ مِنْها أَنْ تَغْزِلَهُ خُيوطاً، ثُمَّ يُحْضِرْهُ لي بَعْدَ أُسْبوعٍ».



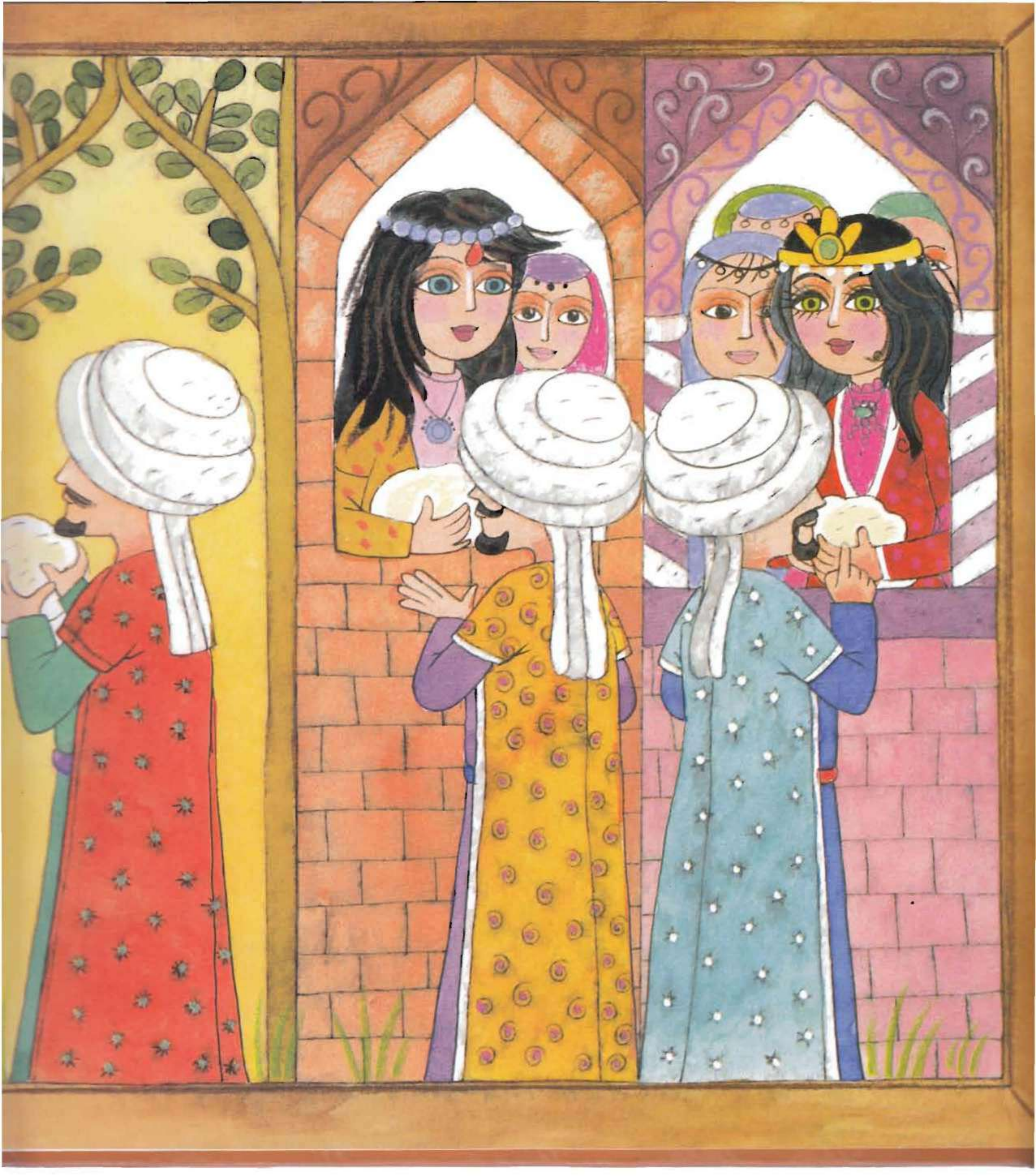


كانَ وَليدٌ يُحِبُ ابْنَةَ عَمِّهِ الأَميرِ، فَأَسْرَعَ إلَيْها وَقَدَّمَ لَها كُتْلَةَ الصّوفِ لِتَغْزِلَها.

وَكانَ رَشيدٌ يُحِبُ ابْنَةَ خالِهِ الوَزيرِ، فَأَسْرَعَ إلَيْها هُوَ الآخَرُ، وَأَعْطاها كُتْلَةَ الصّوفِ.

أَمَّا حَميدٌ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ فَتاةٌ يُحِبُّها أَوْ يَتَمَنّى الزَّواجَ مِنْها.. فَقَدْ كانَ خَجولاً مُنْطَوِياً لا يُحِبُ صُحْبَةَ بَناتِ الأُمَراءِ أَوْ الوُزَراءِ.

وَضَعَ حَميدٌ كُتْلَةَ الصّوفِ في جَيْبِهِ، وَرَكِبَ حِصانَهُ وَخَرَجَ يَهيمُ في البَرِيَّةِ وَحْدَهُ.. حَتى وَصَلَ إلى وادٍ مُنْعَزِلٍ بِهِ بَيْتٌ قَديمٌ، بِالقُرْبِ مِنْ نَبْعٍ صَغيرٍ.. فَنَزَلَ عَنْ حِصانِهِ، وَشَرِبَ مِنَ النَّبْعِ، ثُمَّ جَلَسَ يَسْتَريحُ في ظِلِّ البَيْتِ.





بَعْدَ فَتْرَةٍ، أَقْبَلَتْ فَتاةٌ تُغَطّي وَجْهَها بِحِجابٍ كَبيرٍ يُشْبِهُ القِناعَ، كانَتْ تُغَنّي بِصَوْتٍ جَميلٍ ساحِرٍ، لَكِنَّها تَوَقَّفَتْ عِنْدَما رَأَتْهُ.. وسَأَلَتْهُ، دونَ أَنْ تَرْفَعَ قِناعَها، عَمّا يَفْعَلُهُ في هَذا المَكانِ، ولِماذا يَبْدُو مَهْموماً.

قَصَّ عَلَيْها حَميدٌ قِصَّتَهُ، فَقالَتْ بِبَساطَةٍ: «أُتْرُكْ لي هَذا الصّوفَ، ثُمَّ ارْجِعْ لِتَأْخُذَهُ مَغْزولاً بَعْدَ أُسْبوعٍ».

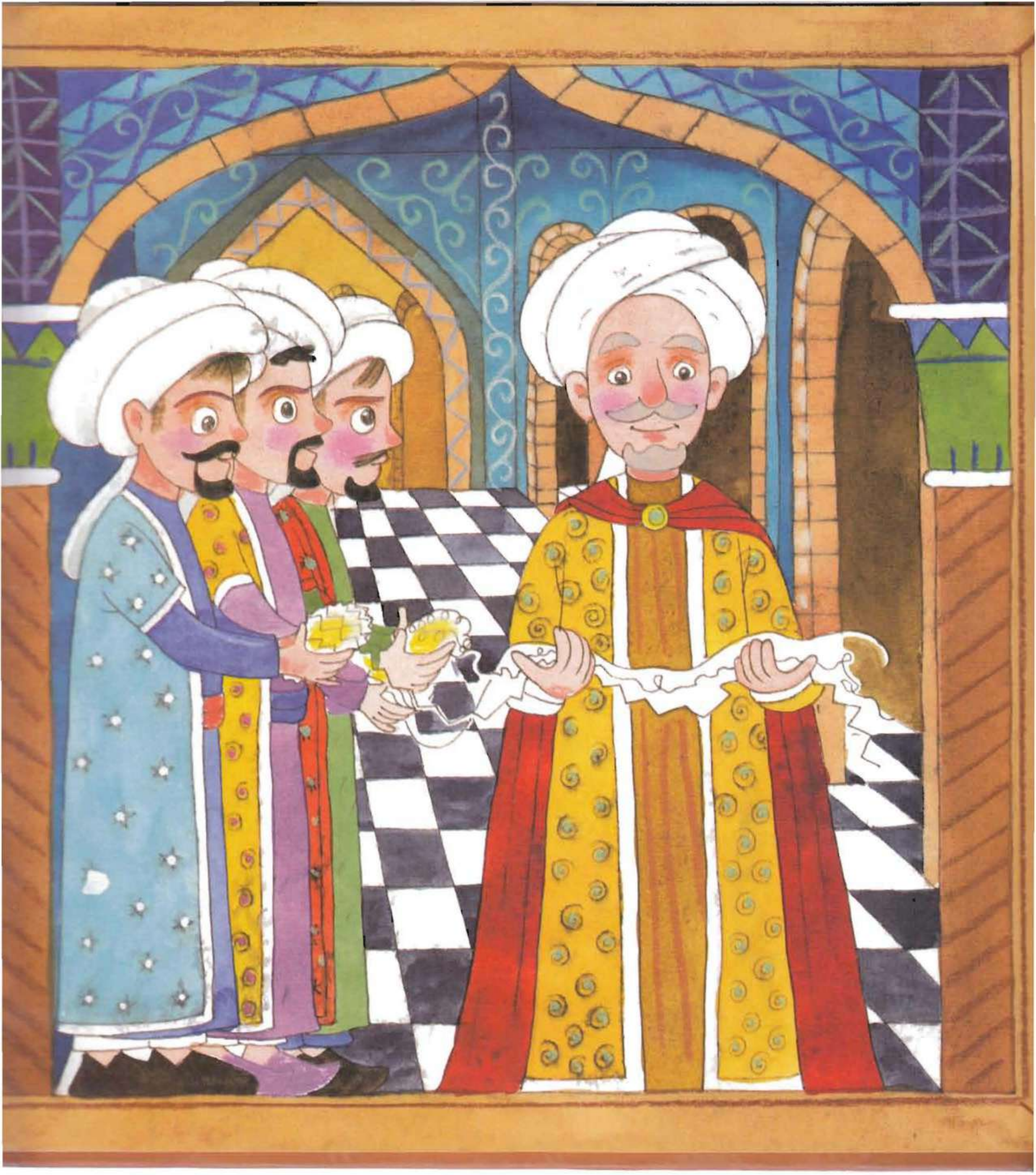
عادَ حَميدٌ بَعْدَ أُسْبوعٍ، فَأَعْطَتْهُ الفَتاةُ ذاتُ القِناعِ عُلْبَةً صَغيرَةً بِها خُيوطُ الصّوفِ المَغْزولَةُ. فَشَكَرَها وانْصَرَفَ.

التَقى المَلِكُ عَبْدُ المَجيدِ بِأَبْنائِهِ في المَوْعِدِ المُحَدَّدِ، فَتَناوَلَ أَوَّلاً ما غَزَلَتْهُ ابْنَةُ الأَميرِ، فَوَجَدَ الخَيْطَ خَشِناً وسَميكاً، فَقالَ: «يَبْدُو أَنَّ غَزْلَ الصّوفِ كانَ ثَقيلاً عَلى نَفْسِ صاحِبَتِهِ».

وفَحَصَ ما غَزَلَتْهُ ابْنَةُ الوَزيرِ، فَوَجَدَ الخَيْطَ رَفيعاً وضَعيفاً، فَقالَ: «يَبْدو أَنَّ صاحِبَتَهُ كانَتْ تَتَعَجَّلُ الانْتِهاءَ مِنْهُ».

ثُمَّ أَمْسَكَ الخَيْطَ الذي قَدَّمَهُ لَهُ حَميدٌ، وقالَ: «هَذا خَيْطٌ رَفيعٌ لَكِنَّهُ مَتينٌ، مَلْمَسُهُ ناعِمٌ وأَجْزاؤُهُ مُتَساوِيَةٌ».

بَعْدَ ذَلِكَ أَعْطى المَلِكُ كُلاًّ مِنْ أَبْنائِهِ الثَّلاثَةِ شَلَّةً مِنَ الخَيْطِ المَغْزولِ وقالَ لَهُم: «لِيَذْهَبْ كُلٌّ مِنْكُم إِلى خَطيبَتِهِ ويَطْلُبْ مِنْها أَنْ تَنْسِجَ هَذا الخَيْطَ».





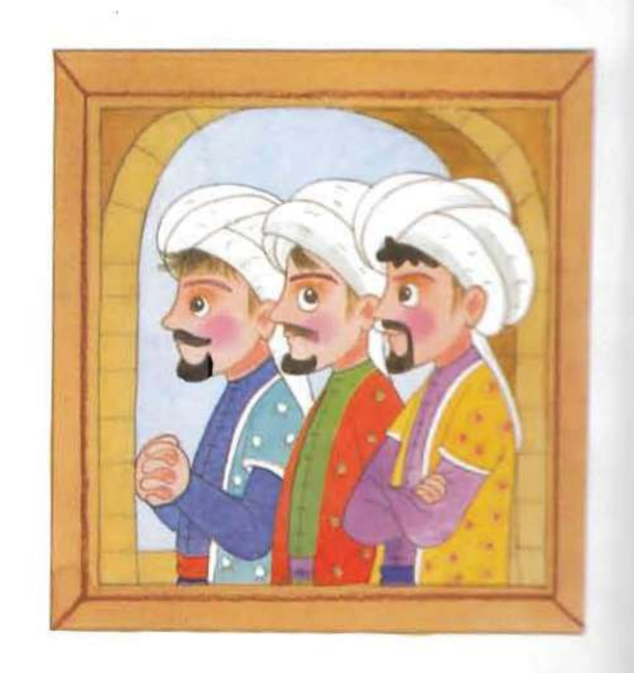
أَسْرَعَ وَليدٌ إلى ابْنَةِ الأَميرِ، وأَسْرَعَ رَشيدٌ إلى ابْنَةِ الوَزيرِ.. أَمَّا حَميدٌ، فَقادَهُ حِصانُهُ إلى البَيْتِ القَديمِ عِنْدَ النَّبعِ، حَيْثُ تَعيشُ الفَتاةُ المُجْهولَةُ.

اسْتَقْبَلَتْهُ الفَتاةُ وقَدْ غَطَّتْ وَجْهَها بِقِناعِها كَعادَتِها، وسَأَلَتْهُ عمّا بِهِ.. ثُمَّ قالَتْ: «لا تَحْزَنْ، أَعْطِني هَذا الخَيْطَ، وارْجَعْ لِتَأْخُذَهُ بَعْدَ أُسْبوعٍ».

لَمْ يَشْعُرْ حَميدٌ بِالخَجَلِ في صُحْبَةِ ذاتِ القِناعِ، بَلْ راحَ يُحَدِّثُها كَأَنَّهُ يَعْرِفُها مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ، وراحَتْ هِيَ تَسْتَمِعُ إِلَيْهِ وتُحادِثُهُ حَتى انْصَرَفَ عائِداً إلى القَصْرِ.

رَجَعَ حَميدٌ إلى ذاتِ القِناعِ في مَوْعِدِهِ لِيَأْخُذَ النَّسيجَ.. لَكِنَّهُ لَمْ يَنْصَرِفْ في الحالِ، لأنَّ الفَتاةَ أَعَدَّتْ لَهُ طَعاماً مِمَّا زَرَعَتْهُ وما جَمَعَتْهُ مِنْ ثِمارٍ وما صادَتْهُ مِنْ طُيورٍ.. فَجَلَسا يَأْكُلانِ ويَتَحَدَّثانِ.. وعَرَفَ مِنْها أَنَّ اسْمَها ساجِدَة.





فِي المَوْعِدِ المُحَدَّدِ، تَفَحَّصَ المَلِكُ عَبْدُ المَجيدِ القُماشَ الذي نَسَجَتْهُ ابْنَةُ الأَميرِ، وقالَ: «إنَّ غُرَزَهُ ضَيِّقَةٌ ومَلْمَسَهُ خَشِنٌ، وأَطْرافَهُ غَيْرُ مُتَساوِيَةٍ، يَدُلُّ عَلى أن صاحِبَتَهُ ضَيِّقَةُ الصَّدْرِ حادَّةُ الطَّبْعِ».

وَتَأَمَّلَ ما نَسَجَتْهُ ابْنَةُ الوَزيرِ، وقالَ: «إنَّهُ مُخَلْخَلٌ وغَيْرُ مُتَماسِكٍ، يَدُلُّ على أنَّ صاحِبَتَهُ عَجولَةٌ، غَيْرُ صَبورَةٍ، ومُهْمِلَةٌ».

ثُمَّ قَدَّمَ حَميدٌ نَسيجَهُ، فَوَجَدَهُ المَلِكُ ناعِماً مُسْتَوِياً، رَقيقاً ومُتَماسِكاً.

قالَ المَلِكُ لأَبْنائِهِ: «لِيَحْضُرْ كُلٌّ مِنْكُم في الأُسْبوعِ القادِمِ مَعَ خَطيبَتِهِ لأُبارِكَ زَواجَهُ مِنْها».

أَسْرَعَ وَليدٌ لِيُبَشِرَ ابْنَةَ الأَميرِ بِما قالَهُ أبوهُ.. وأَسْرَعَ رَشيدٌ يَزُفُّ الخَبَرَ السَعيدَ لابْنَةِ الوَزيرِ.. أَمَّا حَميدٌ، فاتَّجَهَ مُباشَرَةً إلى بَيْتِ ذاتِ القِناعِ عِنْدَ النَّبْعِ الصَّغيرِ.





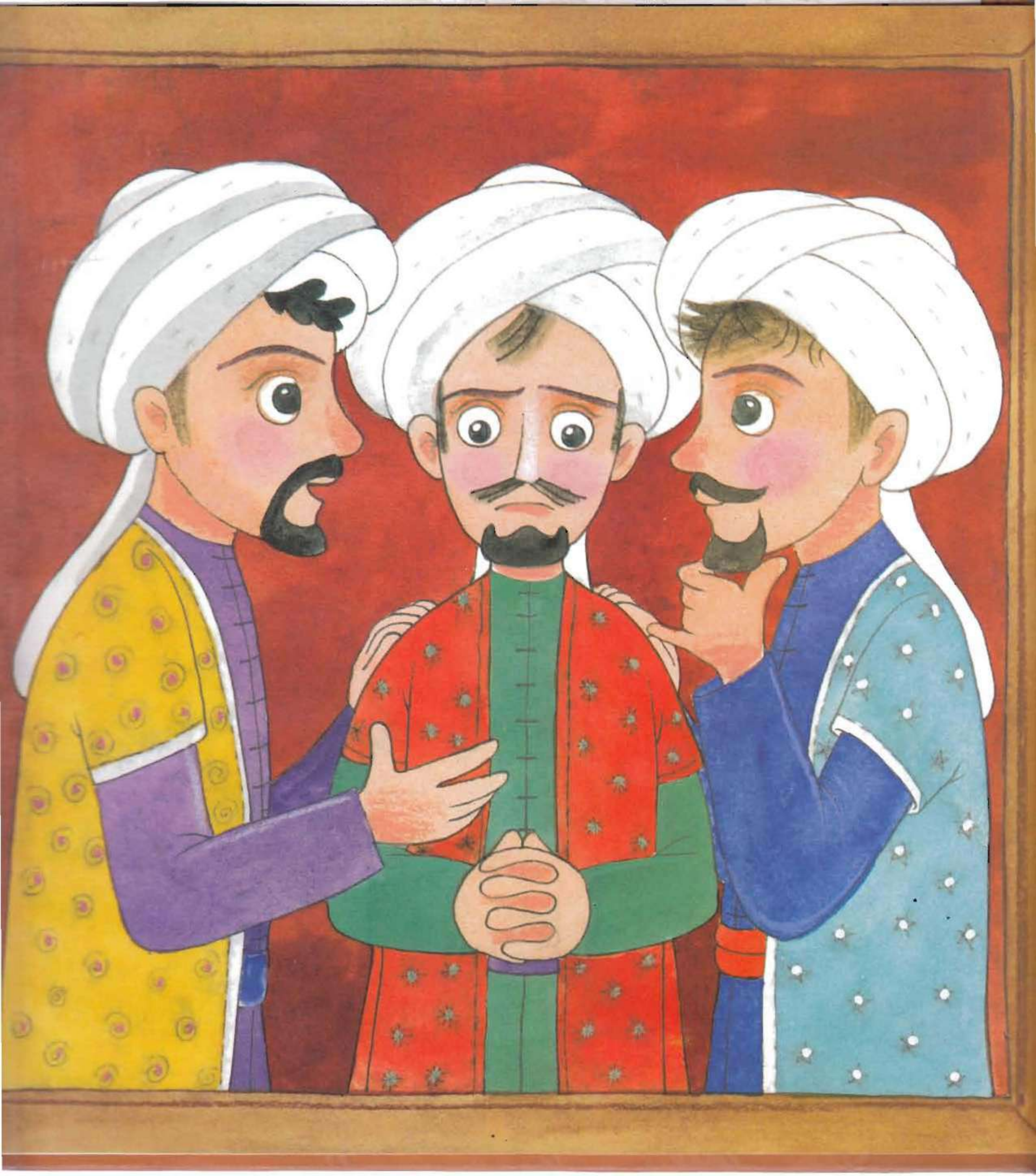
رَوَى حَميدٌ لِفَتاتِهِ ما حَدَثَ، وطَلَبَ مِنْها أن تَقْبَلَ الزَّواجَ مِنْهُ.. وَرَجاها أنْ تَذْهَبَ مَعَهُ إلى القَصْرِ لِمُقابَلَةِ والِدِهِ.. وأَلَحَّ عَلَيْها أن تَرْفَعَ قِناعَها لِيَرَى وَجْهَها ولَوْ مَرَّةً واحِدَةً فَقَطْ.. وأَكَّدَ لَها أَنَّها عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الأميراتِ.

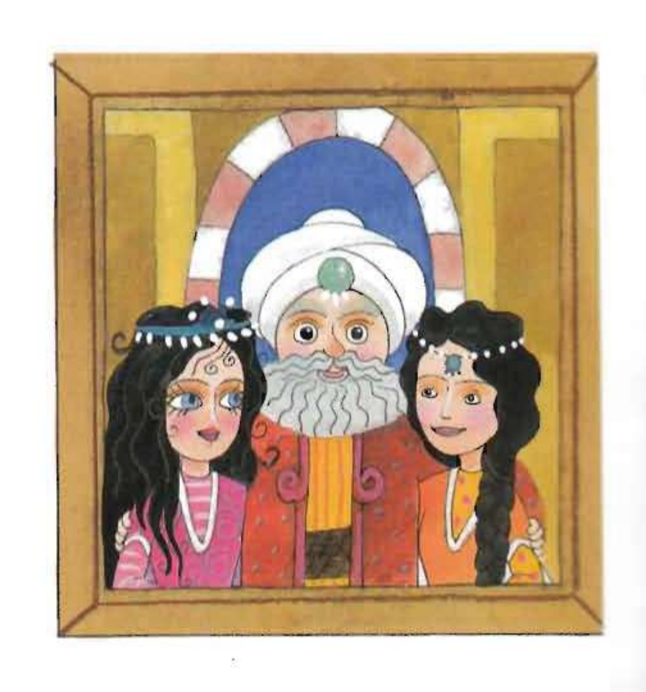
لَكِنَّ الفَتاةَ اعْتَذَرَتْ عِنِ الزَّواجِ مِنْهُ.. ورَفَضَتْ بِشِدَّةٍ أنْ تَكْشِفَ عَنْ وَجْهِها، كَما رَفَضَت أن تَتْرُكَ بَيْتَها ولَوْ لِزِيارَةِ المَلِكِ.

تَرَكَها حَميدٌ وانْصَرَفَ حَزيناً حائراً، فَقَدْ أَحَبَّها، وكانَ يَتَمَنّى الزَّواجَ مِنْها، ولا يَدْري كَيْفَ يُخْبِرُ والِدَهُ أَنَّها رَفَضَتْهُ.

التَقَى حَميدٌ بِأَخَوَيْهِ، وقَصَّ عَلَيْهِما قِصَّتَهُ مَع ساجِدَةَ ذاتِ القِناعِ..

فَسَأَلَهُ وَليدٌ: «هَلْ كانَ صَوْتُها جَميلاً كَالقيثارَةِ؟».. قالَ: «نَعَم».





وسَأَلَهُ رَشيدٌ: «هَلْ كانَتْ لَها ضَفيرَةٌ سَوْداءُ تَصِلُ إلى قَدَمَيْها؟».. قالَ: «نَعم».

قالَ وَليدٌ: «وتُجيدُ الغَزْلَ والنَّسْجَ؟»..

وأَكْمَلَ رَشيدٌ: «والزِّراعَةَ والصَّيْدَ والطَهْوَ؟»..

تابَعَ وَليدٌ: «ذَكيَّةٌ ومُثَقَّفَةٌ؟»..

وعَلَّقَ رَشيدٌ: «شُجاعَةٌ ومِقْدامَةٌ؟.. تَعيشُ وَحْدَها في البَرِيَّةِ؟»..

سَأَلَهُما حَميدٌ بِدَهْشَةٍ: «هَلْ تَعْرِفانِها؟.. هَلْ تَعْرِفانِ مَنْ هِيَ؟»!!

قالا: «نَعَم.. إنَّها ابْنَةُ الأَميرِ خَلْدون».

كانَ لِهَذا الأميرِ ابْنَتانِ، ساجِدَة وعابِدَة، تَتَمَيَّزانِ بِالذَّكاءِ والمَهارَةِ، وتُجيدانِ كَثيراً مِنَ العُلومِ والفُنونِ، لَهُما صَوْتٌ ساحِرٌ عَذْبٌ..

...كانَتْ الابْنَةُ الصُغْرَى، عابِدَة، ذاتَ جَمالٍ آسِرٍ بَيْنَما تَفْتَقِرُ الكُبْرَى، ساجِدَة، إلى الجَمالِ؛ فَكانت تَخْجَلُ مِنْ وَجْهِها وتُخْفيهِ تَحْتَ قِناعٍ لا تَرْفَعُهُ أَبداً حَتى اشْتُهِرَتْ باسْمِ الأميرَةِ ذاتِ القِناعِ..





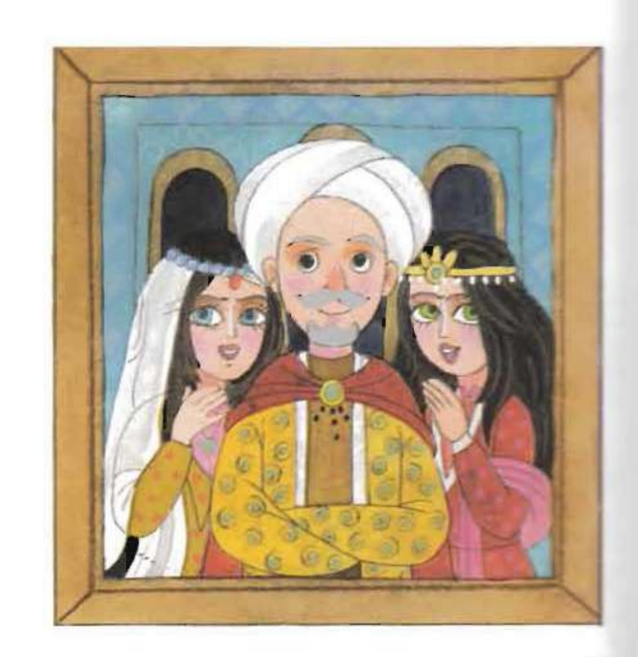
...كـانَ الأُمَـراءُ يَفِـدونَ مِنْ أَرْجـاءِ الـدُّنْيا طَلَباً لِلزَّواجِ مِنَ الأَميرَةِ الصُّغرى ، لَكِنَّ والِدَها كانَ يَرْفُضُ أنْ يُزَوِّجَها قَبْلَ أُخْتِها الكُبْرى.

...أَحَسَّتْ الأَميرَةُ ساجِدَة، ذاتُ القِناعِ، أَنَّها عَقَبَةٌ في طَريقِ سَعادَةِ أُخْتِها. فَهَجَرَتِ القَصْرَ ورَحَلَتْ إلى مَكانٍ مَجْهولٍ لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ..

...فَلابُدَّ أَنَّها تِلْكَ الفَتاةُ التي التَقَيْتَ بِها في البَرِيَّةِ.

أَسْرَعَ حَميدٌ إلى فَتاتِهِ، لِيُخْبِرَها عَنْ حُبِّهِ وإعْجابِهِ بِعَقْلِها وَقَلْبِها، ويُؤَكِدَ لَها رَغْبَتَهُ في الزَّواجِ مِنْها.. لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْها عِنْدَ النَّبعِ، وبَحَثَ عَنْها في كُلِّ مَكانٍ، قَريبٍ وبَعيدٍ، فَلَمْ يَجِدْ لَها أَثَراً.. فَعادَ إلى القَصْرِ حَزيناً مَهْموماً، عازِماً أنْ يَحْكِيَ قِصَّتَهُ لأبيهِ، ثُمَّ يَسْأَلَهُ المَشورَةَ.



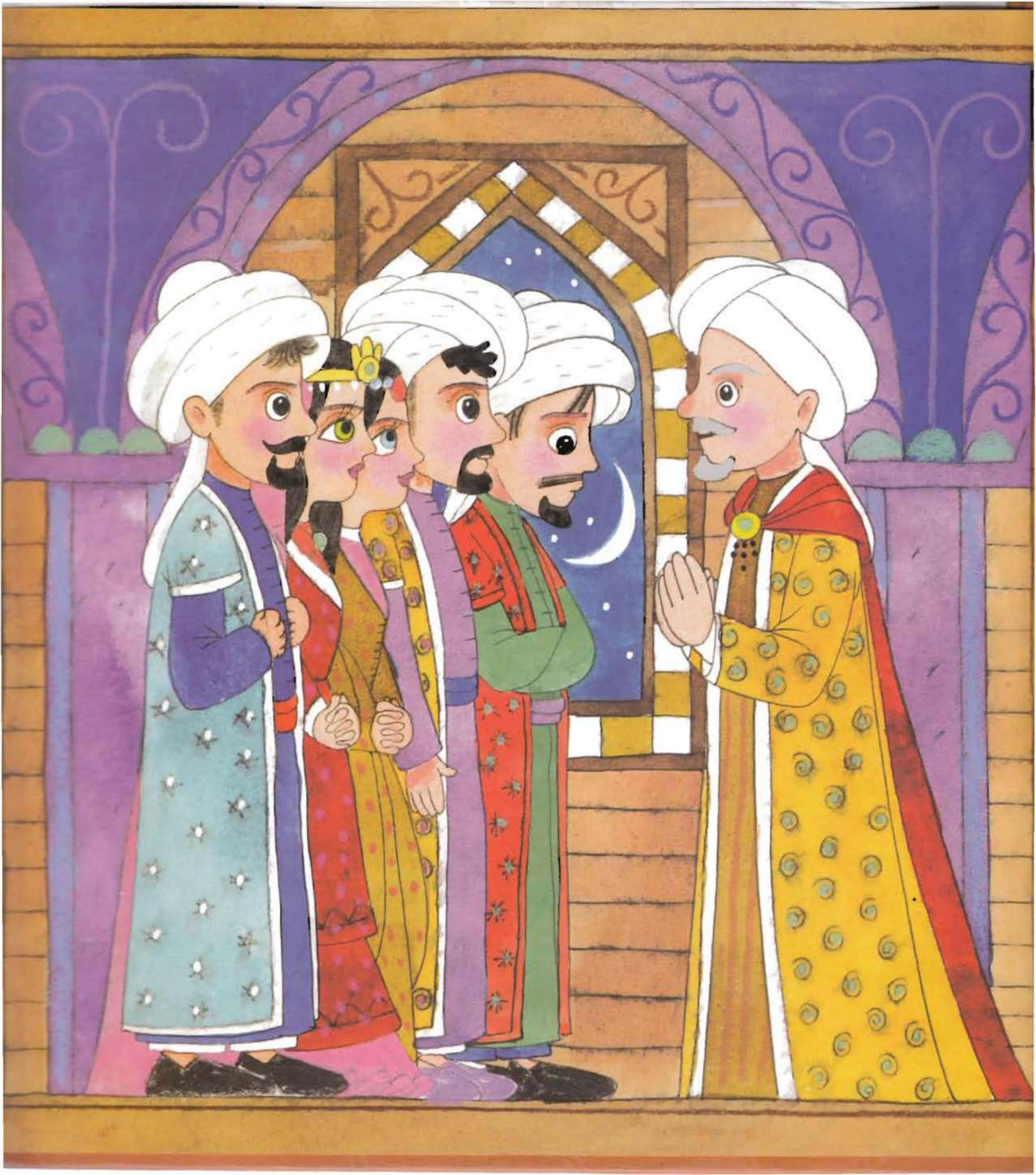


كانَتِ ابْنَةُ الأميرِ وابْنَةُ الوَزيرِ قَدْ سَمِعَتا مِنْ وَليدٍ ورَشيدٍ قِصَّةَ حَميدٍ مَعَ ذاتِ القِناعِ، فَأَسْرَعَتا قَبْلَهُ إلى المَلِكِ، وقَصَّتا عَلَيْهِ القِصَّةَ كامِلَةً. فَقَدْ اعْتَقَدَتا أنَّ المَلِكَ يُريدُ لأبْنائِهِ زَوْجاتٍ جَميلاتٍ.

في اليَوْمِ المَوْعودِ.. جَلَسَ المَلِكُ عَبْدُ المَجيدِ عَلى عَرْشِهِ، ونادَى أَبْناءَهُ الثَّلاثَةَ.

تَقَدَّمَ وَليدٌ مَعَ خَطيبَتِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُما المَلِكُ اسْتِقْبالاً حَسَناً، وبارَكَ زَواجَهُما.

وتَقَدَّمَ رَشيدٌ مَعَ خَطيبَتِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُما المَلِكُ الاسْتِقْبالَ نَفْسَهُ وبارَكَ زَواجَهُما.





وأَخيراً تَقَدَّمَ حَميدٌ وَحيداً، وهَمَّ بِشَرْحِ الأَمْرِ لأبيهِ..

في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، انْفَتَحَ بابُ القاعَةِ، ودَخَلَ حارِسانِ مِنْ حُرَّاسِ المَلِكِ، تَمْشِي بيْنَهُما الأميرَةُ ساجِدَةُ، ذاتُ القِناعِ..

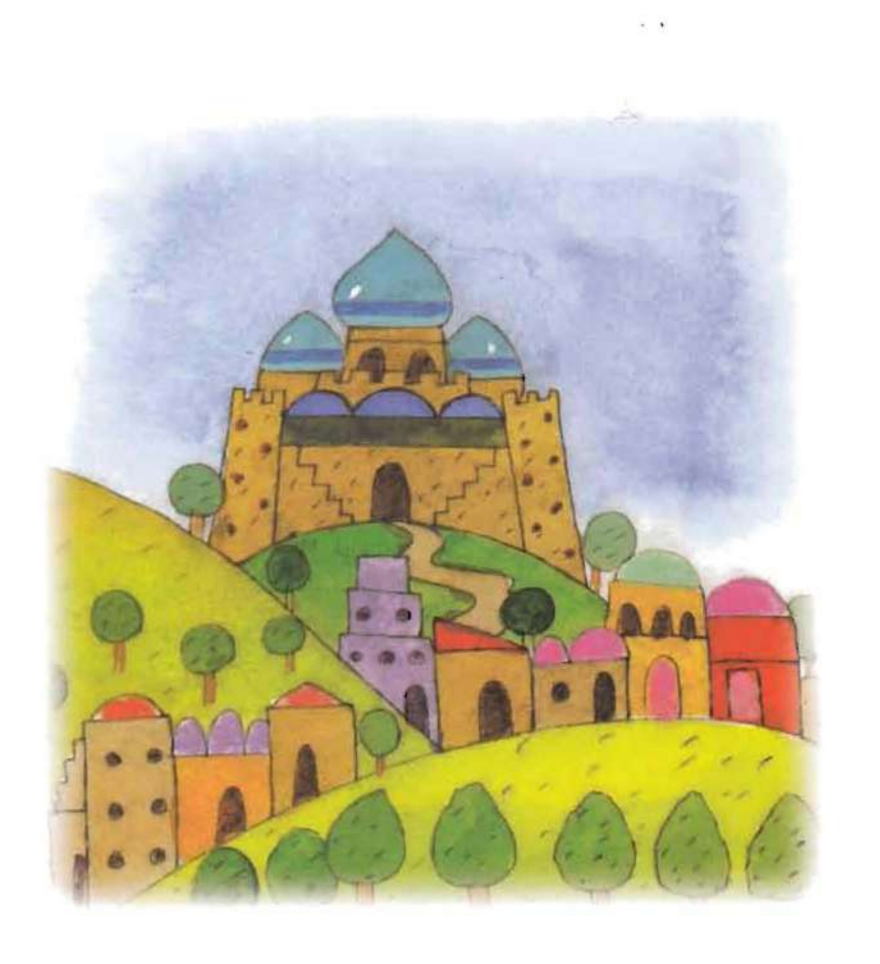
قامَ المَلِكُ مِنْ عَرْشِهِ وتَقَدَّمَ نَحْوَ الفَتاةِ وقالَ لَها: «لَقَدْ رَأَيْتُ عَمَلَكِ وتَعَرَّفْتُ عَلَيْكِ قَبْلَ أنْ أَراكِ.. إنَّ غَزْلَكِ ونَسيجَكِ يَدُلاّنِ عَلى أَنَّكِ فَتاةٌ صَبورَةٌ ومُدَبِرَةٌ، رَزينَةٌ وماهِرَةٌ.. وعَرَفْتُ أنَّ ابْنِي حَميداً يَتَمَنّى أنْ يَتزَوَّجَكِ..

فَإذا قَبِلْتِ أنْ تَتزَوَّجيهِ..سَأُبارِكُ زَواجَكُما، وأَخْتارُهُ خَليفَةً لي في الحُكْمِ، لأَنَّكِ خَيْرُ مَنْ تَصْلُحُ مَلِكَةً لِلْبِلادِ.

أَخَذَ المَلِكُ يَدَ ساجِدَةً، وأَجْلَسَها إلى جِوارِهِ على العَرْشِ.. ورَفَعَ القِناعَ عَنْ وَجْهِها.. فَأَطْرَقَتْ خَجَلاً..

رَفَعَ المَلِكُ رَأْسَها بِيَدِهِ وهُوَ يَقولُ: «لا يَهُمُّ أنْ يَكونَ وَجْهُ الفَتاةِ جَميلاً، مادامَتْ روحُها جَميلَةً».







نص: اماني العشماوي
رسوم: لمياء عبد الصاحب

تتوجه هذه السلسلة للأولاد والبنات ابتدا من عمر ثماني سنوات



ISBN 995344752-7
9789953447520

دار الحدائق
لطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب. ٢١٦/٢٥ بيروت، لبنان
هـ: ‎+٩٦١ ١ ٨٢١٦٧٩‎ ‎+٩٦١ ١ ٨٤٠٣٨٩‎
ف: ‎+٩٦١ ١ ٨٤٠٣٩٠‎
البريد الالكتروني: al-hadaek@idm.net.lb